آيات الشفاء في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية تحليلية

إعداد

د. سعد بن مبارك الدوسري

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

بجامعة القصيم

آيات الشفاء في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية تحليلية.

سعد بن مبارك الدوسري.
قسم القرآن وعلومه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم – السعودية .
البريد الإلكتروني: sdosry@qu.edu.sa

وردت مادة الشفاء في القرآن الكريم في ستة مواضع في سور (التوبة، يونس، النحل، الإسراء، الشعراء، فصلت)، وقد تنوعت ما بين الشفاء الحسي والمعنوي، وجاء هذا البحث بعنوان (آيات الشفاء في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية) ليعالج هذه الآيات، من خلال تحديد مواضعها، وبيان مناسباتها، وتفسيرها تحليليًا، مع إبراز أهم مسائلها وهداياتها.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي في تحديد مواضع آيات الشفاء ونوعها، كما اعتمدت المنهج التحليلي في دراسة هذه الآيات، وذلك ببيان مناسبتها، وإيضاح تفسيرها، وبيان أهم مسائلها وهداياتها.

وقد خلص البحث إلى نتائج تتعلق باستعمالات الشفاء في القرآن الكريم، وتحديد مواضع آياتها، والصيغ الواردة فيها، والموصوف بها، وتحديد نوع الشفاء، ومن المنتفع به، وما يشترط للانتفاع بذلك.

الكلمات المفتاحية: الشفاء، التفسير، التحليلي، الموضوعي، القرآن الكريم.

Research Title: The Verses of Healing in the Noble Qur'an: An Analytical, Explanatory Study

Saad Ibn Mubarak Al-Dosry
Department of the Noble Quran and its Sciences - College of Sharia and Islamic Studies - Qassim University- - Saudi Arabia
E-mail: sdosry@qu.edu.sa

Abstract:

The topic of healing in the Holy Qur'an has been mentioned in six places: (in the Surahs of Al-Tawbah, Yunus, An-Nahl, Al-Isra', Al-Shu'ara', and Fuslat) and its use in the noble Qur'an has been varied between the sensory healing and spiritual one. This research which came under the title "The Verses of Healing in the Noble Qur'an: An Explanatory and Analytical Study", was meant to treat these verses, by specifying their places in the Noble Qur'an, indicating their occasions, and interpreting them analytically while highlighting their most important issues and guidance.

In this research, the researcher used the descriptive approach in determining the places and the types of the verses of healing. In addition, the researcher employed the analytical approach in studying these verses, by stating their occasions, clarifying their interpretation, and clarifying their most important issues and guidance.

The research concluded with results related to the uses of healing in the Holy Qur'an, the determination of the places of its verses, the grammatical forms which are contained in them and describe them as well as determining the type of healing, who benefits from it, and what is required to benefit from it.

Keywords: Healing, interpretation, analytical interpretation, objective interpretation, the Noble Qur'an.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن كلام الله سبحانه، أودع فيه الهدى والنور، وأبان فيه العلم والحكمة، وهو الكنز الزاخر، والبحر الوافر الذي لا تنقضي عجائبه، قد حوى لنا الكثير من العلوم والمعارف مما لا يمكن حصره، ومهما ظهر للبشر من علومه فإنه لا يزال به الكثير من المعارف والعلوم والحكم والتشريعات الإلهية، التي يستقيم بها أمر البشرية كلما غاصوا في بحوره واستخلصوا من معانيه.

ومما جاء في القرآن أنه تحدث عن الشفاء، سواء كان حسيًا أو معنويًا، وقد وردت مادة الشفاء في القرآن في ستة مواضع، وجاء هذا البحث بعنوان (آيات الشفاء في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية) ليعالج هذه الآيات، من خلال تحديد مواضعها، وبيان مناسبتها، وتفسيرها تحليليًا، مع إبراز أهم مسائلها وهداياتها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أولًا: تبرز أهمية البحث من أهمية موضوعه، فموضوعه متعلق بالتفسير، وهو من أجلّ العلوم وأشرفها؛ لتعلقه بكلام الله تعالى.

ثانيًا: قلة الدراسات التي خصت هذا الموضوع بالبحث والدراسة؛ حيث إن الدراسات في آيات الشفاء مع قلتها، قد اختصت بالتفسير الموضوعي للآيات دون التحليلي منها.

أهداف البحث:

أولًا: بيان مواضع آيات الشفاء في القرآن الكريم.

ثانيًا: الدراسة التحليلية لآيات الشفاء في القرآن الكريم.

ثالثًا: إبراز أهم المسائل والهدايات القرآنية المتعلقة بآيات الشفاء.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء لم أجد دراسة تتناول تفسير آيات الشفاء تفسيرًا تحليليًا، غير أن هناك دراسات تناولت هذا الموضوع من جوانب أخرى، وهذه الدراسات؛ هي:

١- المرض والشفاء في القرآن الكريم، د. أحمد حسين علي سالم، وأصله رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، وقد تناول آيات الشفاء في ست صفحات (ص ٣٤٩-٣٥٥)، ذكر فيه الآيات وفسرها تفسيرًا إجماليًا مناسبًا للتفسير الموضوعي.

٢- آيات الشفاء في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية موضوعية، د. سلطان ابن عبد الله العازمي، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وقد قسمه الباحث قسمين، تناول في الأول: مفهوم الشفاء في اللغة والقرآن، وفي الثاني: ذكر فوائد تفسيرية وفقهية من آيات الشفاء في القرآن الكريم، وقد اقتصر بحثه على تناول فوائد الآيات دون أن يتطرق إلى تفسير آيات الشفاء.

٣- الشفاء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، د.سعدي العزاوي، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للدراسات الإسلامية، وهو كسابقيه؛ لم يتعرض إلى تفسير آيات الشفاء تحليليًا ولم يتطرق إلى هدايات هذه الآيات.

وعليه؛ فإن الدراسات السابقة تختلف في محتواها وتناولها وعرضها وتحليلها عن موضوع بحثي، وهذا أهم أسباب اختيار موضوع البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه الشفاء (تعريفه، استعمالاته القرآنية، مواضع آيات الشفاء في القرآن الكريم).

المبحث الأول: في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

المبحث الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

المبحث الثالث: في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩].

المبحث الرابع: في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

المبحث الخامس: في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾[الشعراء: ٨٠].

المبحث السادس: في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٤].

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس، وتشتمل على:

- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أسلك في هذا البحث المنهج الوصفي في تحديد مواضع آيات الشفاء، كما أعتمد المنهج التحليلي في دراسة الآيات، وذلك ببيان مناسبتها، وإيضاح تفسيرها، وبيان أهم مسائلها وهداياتها.

وقد قمت بعزو الآيات، وتوثيق القراءات، وتخريج الأحاديث والآثار، ولم أقم بترجمة الأعلام الواردة في البحث منعًا للإطالة، كما وثّقت النقول والنصوص وفق المنهج العلمي المعهود في إجراءات البحث.

التمهيد

تعريف الشفاء:

مادة (شفى) في أصل اللغة تدل على الإشراف على الشيء، يقال: أشفى على الشيء إذا أشرف عليه، وقرب منه، ومنه قوله تعالى:﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وقوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ومنه الشفاء من المرض، لإشرافه ودنوه من السلامة(١). والشفاء أصله البُرء من المرض، ثم وُضع موضع العلاج والمداواة.

ولم يخرج التعريف الاصطلاحي للشفاء عن معناه اللغوي، فعُرِّف بأنه زوال المرض ومعالجة أعراضه. ويُستعمل الشفاء في الحقيقة على: زوال المرض والألم، وفي المجاز على: زوال النقائص والضلالات، وما فيه حرج على النفس(٢).

الشفاء في الاستعمال القرآني:

ورد الشفاء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الأول: الفرح: كقوله تعالى:﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]؛ أي: ويفرح قلوبهم.

الثاني: العافية: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقريب منه الدواء؛ كقوله تعالى:﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

---

(١) انظر مادة (شفى) في: مقاييس اللغة، ابن فارس (١٩٩/٣)، تهذيب اللغة، الأزهري (٢٩٠/١١)، لسان العرب، ابن منظور (٤٣٦/١٤)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٢٦٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٨٨/٢) مادة (شفا)، التعريفات، الجرجاني (ص١٦٨)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٦/١٠)، (٢٠١/١١).

الثالث: البيان: كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] يعني بيانًا[١].

مواضع آيات الشفاء في القرآن:

آيات الشفاء هي الآيات التي ورد فيها ذكر الشفاء [٢]، وهي ست آيات، اثنتان منها جاء فيها لفظ الشفاء بالفعل المضارع، وأربع بصيغة المصدر؛ منها ثلاث آيات مكية فيها وصف القرآن بالشفاء. وهذه المواضع هي:

- قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].
- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].
- قوله تعالى:﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩].
- قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].
- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

(١) انظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، الدامغاني (٤٤٧/٢)، نزهة الأعين النظائر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي (ص ٣٧٠) .

(٢) انظر: معجم مصطلحات علوم القرآن، د. محمد الشايع (ص٤٣).

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٤].

فهذه آيات الشفاء الست، وسأتناول في هذا البحث دراسة هذه الآيات تحليليًا، مع إبراز هداياتها، وتفصيلها في المباحث الآتية.

المبحث الأول

في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

أولًا: مناسبة الآية.

لما بيّن الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أفعال الكفار المقتضية لقتالهم في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣]، وكان الحث على قتالهم مقترنًا بذنوبهم؛ لتقوية العزيمة على ذلك، ثم جزم الأمر بقتالهم في هذه الآية، مقترنًا بوعد مؤكد، يعد بالنصر عليهم والظفر بهم(١).

ثانيًا: تفسير الآية.

جاء في سبب نزول هذه الآية عن عكرمة قال: "نزلت في خزاعة: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ من خزاعة"(٢).

وذلك أن بني بكر قاتلوا خزاعة فهزموهم وقتلوا منهم، وخزاعة كانت صلح النبي ﷺ، وقد أعان كفارُ مكة بني بكر بالسلاح على خزاعة فاستحل النبي ﷺ قتال كفار مكة بذلك(٣).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٣/٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٣٨٢/٥)، نظم الدرر، البقاعي (٢٧٩/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٠/٢-١٦١).

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ ﴾ فعل أمر من الله سبحانه، والمعنى: قاتِلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله، هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم، ونقضوا عهودهم، وأخرجوا رسول الله ﷺ من بين أظهرهم(١).

﴿ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾ جواب الطلب، جُزم به، وهو جزم بمعنى المجازاة، والتقدير: إن تقاتلوهم يعذّبهم الله(٢). وهو واحد من خمسة أجوبة؛ هي: ﴿ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ ﴾[التوبة: ١٤ – ١٥]، وهي معطوفة جميعًا على ﴿ يُعَذِّبۡهُمُ ﴾(٣).

والعذاب: ما شق على النفس احتماله وآلمها(٤). وتنوعت عبارات المفسرين في المراد بالعذاب هنا، قيل: بالقتل، وقيل: بالأسر، وقيل: بالجراحات، وقيل: باغتنام الأموال، وجميعها تدخل في جملة العذاب، ويعد تفسيرهم من باب التفسير بالمثال، أو بالجزء من المعنى(٥).

وقد أثبت الله تعذيبهم في هذه الآية، ونفاه في سورة الأنفال في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾[الأنفال: ٣٣]، ويجمع بين الآيتين؛

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٢٩٤٣/٤).

(٢) انظر: إعراب القرآن، النحاس (١١١/٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٥/١٠).

(٤) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص٢٣٩)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص٢٣٩).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، البسيط، الواحدي (٣٢٢/١٠)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٣/٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٣٨٢/٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٤٩/٤).

فيقال: المراد بالعذاب في آية التوبة هنا: قتل من نقض العهد. والمراد بالعذاب في آية الأنفال: عذاب الاستئصال، أي: وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعًا وأنت فيهم، والفرق بين العذابين: أن عذاب الاستئصال يتعدى إلى المذنب وغير المذنب، وإلى المخالف والموافق، وأما عذاب القتل فلا يتعدى إلا إلى المذنب المخالف(١).

﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ والخزي لغة: الذل والهوان، وأصله: يدل على الإبعاد(٢)، يقال: خَزِيَ الرجل إذا استحيا من قبح فعله، وذلك أنه إذا فعل ذلك تباعد ونأى.

والمعنى في الآية؛ أي: يذلهم ويهينهم بالأسر والقهر والهزيمة بسبب ذنوبهم، وقد كانوا يتفاخرون بعَدَدهم وعُدَدهم وبأسهم، ثم شاهدوا أنفسهم مغلوبين في أيدي المؤمنين في ذل وهوان(٣).

وقد جمع الله لهؤلاء المشركين نوعين من العذاب؛ هما: العذاب الحسي والمعنوي، وذلك متمثل في القتل والأسر والهزيمة والقهر والذل(٤). وقد اجتمع لهم كل هذا العذاب في الدنيا، وذهب الواحدي إلى أن الخزي واقع بهم في الآخرة، فقال: "﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: أي بعد قتلكم إياهم. وهذا يدل على أن هذا الإخزاء إنما وقع بهم في الآخرة"(٥). وقد ضعّف هذا

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٥/١٦).
(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١٧٩/٢) مادة (خزو)، غريب القرآن، السجستاني (ص٢١٥).
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٢٩٤٣/٤)، معالم التنزيل، البغوي (٣٢٢/٢)، مفاتيح الغيب، الرازي (٦/١٦)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٥/١٠).
(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٣٦٠/٥).
(٥) التفسير البسيط، الواحدي (٣٢٢/١٠).

القول الرازي، والقول بأنه واقع في الدنيا هو الأقرب لأمرين:

أحدهما: تخصيصه بالآخرة لم يؤثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في أي من دواوين السنة أو المصنفات التفسيرية المسندة.

الثاني: اتفاق المفسرين على أن هذا الخزي وقع في الدنيا متمثلًا في صور الأسر والقهر والهزيمة [١].

﴿ وَيَنصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: يمنحكم الظفر عليهم، ويجعلُكم جميعًا غالبين عليهم، ويجعل كلمتكم العليا وكلمتهم هي السفلى؛ ولذلك أُخّر عن التعذيب والإخزاء، وكأنه نتيجة عنه[٢].

فإن قيل: لم أفرد الله النصر بالذكر، مع أن خزي الكفار يلزم منه نصر المسلمين؟ قيل: لأنه من المحتمل أن يحصل الخزي لهم من جهة المؤمنين، إلا أن المؤمنين قد تحصل لهم آفة لسبب آخر قد لا يتحقق معها النصر التام، فلما قال:﴿ وَيَنصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ دلّ على أنهم ينتفعون بهذا النصر والفتح والظفر [٣].

﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ الشفاء– كما مر–: زوال المرض ومعالجة أعراضه. أُطلق هنا استعارة لإزالة ما في النفوس من تعب الغيظ والحقد[٤].

أي: ويبرئ داء صدور المؤمنين بالله ورسوله، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالكم إياهم. وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٦/١٦).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٤٩/٤).

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (٦/١٦).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٦/١٠)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص١٥٤).

المؤجِدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه [١].

وشفاء الصدور يتحقق بإعلاء كلمة الله، وتعذيب الكفار، وخزيهم. ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه، ثم مكّنه الله منه على أحسن الوجوه فإنه يعظم سروره به، ويصير ذلك سببًا لقوة نفسه، وثبات عزيمته [٢].

وفي قوله: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ شهادة للمخاطبين بالإيمان، فهو من بابِ الالتفاتِ وإقامةِ الظاهرِ مُقام المضمر؛ حيث لم يَقُل: «صدوركم»[٣].

وقد اختلف المفسرون في المراد بمن يشفي الله صدورهم في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أن المراد بهم جماعة المؤمنين عمومًا؛ لأن كل ما يصيب أهل الكفر المعادين والمؤذين لهم من العذاب والخزي، فهو شفاء لصدور المؤمنين، وعلى هذا القول جمهور المفسرين[٤].

الثاني: أن المراد بهم قوم معيّنون، ثم اختلف أصحاب هذا القول في تعيينهم على قولين:

أولهما: أن المراد بهم قبيلة خزاعة حيث كانوا حلفاء النبي ﷺ، ولما أسلموا أعانت قريش بني بكر عليهم حتى نكّلوا بهم وآذوهم، فشفى الله صدورهم من بني بكر في فتح مكة بإذن من النبي ﷺ، قال به: مجاهد،

(١) جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، الكشف والبيان، الثعلبي (١٦/٥).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (٦/١٦).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (٢٧/٦).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦٠/١٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٣/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١١٨/٤)، التسهيل، ابن جزي (٣٣٣/١)، البحر المحيط، أبو حيان (٣٨٢/٥).

والسدي، وعكرمة[1].

ثانيهما: أن المراد بهم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا، فلقوا من أهلها أذى شديدًا، فأُمروا بالصبر ووُعِدوا بالفرج القريب، وقد روي هذا عن ابن عباس[2].

والقول الأول هو الأظهر -والله أعلم-؛ لأمرين:

الأول: ألفاظ الآية تدل على العموم، فالأولى حمل الآية على العموم، وصرفها من العموم إلى طائفة معينة ليس عليه دليل صريح.

الثاني: ما ذكره مجاهد والسدي وعكرمة من نزول الآية في خزاعة وتخصيصهم بها، لم يذكروه بصيغة صريحة في سبب النزول، ولعلهم يريدون أن أول من تُحمل عليه الآية هم قبيلة خزاعة. ووجه تخصيصهم أنهم الذين نُقض فيهم العهد ونالتهم الحرب، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كُثر[3]، وبمثل هذا يجاب عن ما روي عن ابن عباس.

وقد رتب الله هذه الوعود التي وعد بها عباده المؤمنين في هذه الآية: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ فبدأ أولًا فيها بما كان سبباً للنصر وهو تعذيب الله الكفار بأيدي المؤمنين وإخزاؤهم؛ إذ كانت البداءة بما ينال الكفار من الشر، ثم ذكر السبب وهو نصر الله المؤمنين على الكافرين، ثم ذكر ما ترتب على النصر من شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظهم؛

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٤/١٦٠-١٦١)، التفسير البسيط، الواحدي (١٠/٣٢٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (٤/٢٩٤٤).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/٢٥٢)، تفسير البيضاوي (٣/٧٤)، البحر المحيط، أبو حيان (٥/٣٨٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/١٣).

تتميما للنعم، فذكر ما نتج عن النصر بالنسبة للكفار، وذكر ما تسبب للمسلمين من الفرح والسرور بإدراك الثأر(١).

ولم يذكر سبحانه فيما وعدهم به ما نالوه من المغانم والمطاعم؛ لأمرين:

الأول: أن المغانم تدخل ضمنًا في هذه الوعود.

الثاني: أن العرب قوم جُبلوا على الحمية والأنفة، فرغبتهم في إدراك الثأر ورد الأذى هي اللائقة بطباعهم(٢).

ثالثًا: هدايات الآية.

١. إسناد التعذيب إلى الله تعالى، حثٌّ للمتأمل أن يتأمل أي عذاب هو؟، وفيه من الوعيد ما فيه.

٢. إسناد تعذيب المشركين إلى أيدي المؤمنين – مع أنه كائن من الله – تشريف وتكريم لهم، كما أن فيه إثباتًا لتأثير الأسباب؛ حيث إن الله تعالى هو المعذِّب لهم، وأيدي المؤمنين إنما هي أسباب وآلات وأدوات في وصول العذاب إلى المشركين(٣).

٣. قدرة الله على إهلاك الكافرين ونصر المؤمنين دون قتال، لكنه أراد حصول ذلك على أيدي المؤمنين، للابتلاء، ولما في ذلك من المنافع الدينية والدنيوية والأجور الأخروية للمؤمنين.

٤. النصر على أعداء الله من موجبات شفاء صدور المسلمين.

٥. وعد الله ﷻ وبشارته للمؤمنين بنصرهم، وإذلال المشركين وهزيمتهم، وتحقق ذلك، وفيه دليل على النبوة وعلى إعجاز القرآن، بتحقق ما أخبر عنه من الغيب.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٣٨٢/٥).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (٦/١٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٠/٨).

٦. عناية الله الفائقة بالمؤمنين، ورعايته ومحبته لهم؛ إذ جعل من جملة المقاصد الشرعية: شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم [١].

٧. المدح العظيم للصحابة رضوان الله عليهم، والدلالة على كونهم في علم الله تعالى مؤمنين إيمانًا حقيقيًا؛ إذ تدل الآيات على أن قلوبهم كانت مملوءة من الغضب لله، والحمية لدينه، والرغبة الشديدة في إعلاء كلمته، وهذه لا تكون إلا في قلوب المؤمنين[٢].

٨. رتب الله خمسة وعود على قتال المسلمين لأعدائهم المعتدين عليهم، كل وعد منها عظيم في حد ذاته إذا انفرد، فكيف إذا اجتمع مع بقية الوعود؟، وهذه الوعود هي: تعذيب الله لأعدائهم بأيديهم، وإخزاؤهم، ونصر المؤمنين عليهم، وشفاء صدور المؤمنين، وذهاب غيظ قلوبهم.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٣١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٦/١٦).

المبحث الثاني

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

أولًا: مناسبة الآية.

لما ذكر الله الأدلة على الألوهية والوحدانية والقدرة في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٥ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يونس:٥٥-٥٦]، ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدي إليها، وهو القرآن(١).

ثانيًا: تفسير الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ هذا خطاب من الله للناس كافة(٢)، وقد ذهب بعض المفسرين إلى تخصيصه بقريش(٣)، إلا أن الراجح أن الخطاب على عمومه، وتدخل فيه قريش دخولًا أوليًا.

قال ابن عاشور: "كان الخطاب هنا عامًا لجميع الناس، ولم يأت فيه ما يقتضي توجيهه لخصوص المشركين، من ضمائر تعود إليهم أو أوصاف لهم أو صلات موصول ... ويجوز أن يكون خطابًا للمشركين؛ بناء على الأكثر في خطاب القرآن بـ (يا أيها الناس)" (٤).

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٧٤/٦).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٥)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٢٦/٣)، لباب التأويل، الخازن (٤٤٨/٢).

(٣) انظر: بحر العلوم، السمرقندي (١٢١/٢)، البسيط، الواحدي (٢٢٧/١١)، زاد المسير، ابن الجوزي (٢٨٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٥٣/٨)، البحر المحيط، أبو حيان (٧٤/٦).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٠/١١).

﴿قَدْ جَآءَتْكُم﴾ افتتاح الكلام بـ﴿قَدْ﴾ لتأكيده، والمجيء: مستعمل مجازًا في الإعلام بالشيء، كما استُعمل لبلوغ الشيء أيضًا، إلا أن البلوغ أشهر في هذا وأكثر، يقال: بلغني خبر كذا، ويقال أيضًا: جاءني خبر كذا أو أتاني خبر كذا.

والمراد بما جاءهم وبلغهم: هو ما أُنزل عليهم من القرآن(١)، وقد عبر عنه بأربع صفات هي أصول كماله وخصائصه، وهي: أنه موعظة، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه هدى، وأنه رحمة للمؤمنين(٢).

وجاء هذا الإرشاد والتوجيه بأسلوب النداء؛ استمالة لهم بألطف أسلوب، وأكمل بيان، حتى يثوبوا إلى الحق والرشد، وينتهوا عن الغي والغفلة.

﴿مَّوْعِظَةٌ﴾ الموعظة: النصح بالفعل أو بالترك، المقرون بما يثير الرغبة أو الرهبة في النفس، للانتفاع بالنصح(٣)، وقيل: الموعظة: زجر مقترن بتخويف(٤).

والمعنى؛ أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من الموعظة والتنبيه، وهو القرآن، حيث إن الموعظة فيها ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وهذه صفة الكتاب العزيز (٥).

وقد نكّر قوله: ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾ للتعظيم؛ أي موعظة عظيمة، وأضاف سبحانه الموعظة إليه فقال: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تعظيمًا لها، وتنبيهًا على

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٢٢٨/١١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٧٤/٤).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦٨/١٧)، اللباب، ابن عادل (٣٥٦/١٠)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠١/١١).
(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (١١٨١/٣) مادة (وعظ)، لسان العرب، ابن منظور (٤٦٦/٧) مادة (وعظ)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٥٥/٤).
(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٥٦٤)، مادة (وعظ).
(٥) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣٥٣/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٢٦/٣).

أنها بالغة الأهمية، وتبيينًا لوجوب الاتعاظ بها إيمانًا وتسليمًا؛ لأنها من خالق الناس، ومربّيهم بفضله ورحمته، وعلمه وحكمته(١).

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: من الله تعالى، وليست من أحد من البشر، فلم يختلقها محمد ﷺ، ولم يفتعلها أحد، وهذا مما يزيد الموعظة تعظيمًا وقبولًا؛ لأنها لم تصدر عن مخلوق تحتمل موعظته الخطأ والصواب، وإنما هي صادرة من خالق الناس ومربّيهم، العليم بما يصلحهم ويشفيهم(٢).

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من أمراض القلوب كلها من الشرك والشك والشبهات والنفاق، والجهل والكِبر والحسد والحقد، والشهوات المحرمة (٣). وهذا كقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢]، وقوله:﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، فالقرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني(٤).

وتكاد تتوارد كلمة المفسرين على أن القرآن شفاء من الجهل(٥)؛ لأن الجهل هو أعظم مرض يحول بين القلوب وبين الإيمان، والقرآن مزيل

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٥٥/٤)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠١/١١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٣٢٨٤/٥).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٥)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٢٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٥٣/٨)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٧٤/٤).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٣٦٦).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٥)، البسيط في التفسير، الواحدي (٢٢٧/١١)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٣٢٨٣/٥)، معالم التنزيل، البغوي (٤٢٣/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١٢٦/٣)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (٢٥١/٣)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٥٥/٤).

للجهل بالحقائق الكبرى كالألوهية، والنبوات، والمبدأ والمعاد؛ فكان أعظم شفاء للقلوب من الشك والارتياب والجحود والإنكار.

وقوله: ﴿وَشِفَآءٌ﴾ هو في الأصل مصدر، جُعل وصفًا للمبالغة، أو هو اسم لما يُشفى به ويتداوى[1].

وقد وصف الله القرآن بالشفاء دون الدواء؛ لأن الدواء قد لا يشفي المريض، وقد لا يناسب بعض الناس، فيحصل بسببه الداء، فالدواء مجرد وسيلة قد تأتي بالنتيجة وقد تتخلف عنها، وأما الشفاء فهو النتيجة المقصودة بحصول البرء من الآفات والأمراض والعلل والسقام.

﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ خص الصدر بالذكر، لأنه موضع القلب ومحيطه، وهو أعز موضع في الإنسان لمكان القلب فيه[2]، قال الراغب: "حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها"[3].

﴿وَهُدًى﴾ الهداية: الدلالة والإرشاد بلطف إلى ما يوصل للمطلوب[4]، والمعنى؛ أي: هاد إلى الحق المبين، والصراط المستقيم، المحقق لسعادة الدنيا والآخرة.

وجاء لفظ الهدى في الآية وصفًا للقرآن بالمصدر لقصد المبالغة في حصول الهدى به، دلالة على أن كل شيء في القرآن يهدي إلى الحق

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٦/٢٢٢).
(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن (٢/٤٤٨).
(٣) انظر: المفردات، الراغب (ص ٤٧٧).
(٤) انظر: المفردات، الراغب (ص٨٣٥)، التعريفات، الجرجاني (ص٢١٥).

وفضائل الأعمال، فهو بمثابة عين الهدى[١].

﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ خاصة بهم، ينجّيهم من ظلمات الضلال، ويحجبهم من النيران، ويرفعهم إلى درجات الجنان، وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون بالإيمان، ولأن من كفر بالقرآن فهو عليه عمًى، وفي الآخرة يُجازى على كفره بالخلودُ في لظًى[٢]، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقد اتفق المفسرون على أن القيد الوارد في قوله: ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ﴾ ، أما تعلقه بالرحمة فبإجماع منهم، وأما تعلقه بالهدى فدليله قوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة ٢]، فإنه لم يجعله هدى لغير المتقين المؤمنين[٣]، وباعتبار قاعدة القيد الوارد بعد مفردات، يرجع إلى هذه المفردات؛ فيكون القيد (للمؤمنين) راجعًا إلى الهدى والرحمة ومتعلقًا بهما[٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢٥/١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٥)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٧٤/٤).

(٣) ولا يتعارض هذا مع كونه هدى للناس كما في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥]؛ إذ هدايته للمتقين هداية خاصة بمعنى التأييد والتوفيق، وهدايته للناس هداية عامة بمعنى الدلالة والإرشاد. [انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦٠/١)، التسهيل، ابن جزي (٦٩/١)، تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة)، ابن عثيمين (٢٩/١)].

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٣/١١).

وقد جاءت أوصاف القرآن في آية سورة يونس (موعظة، شفاء، هدى، رحمة) نكرة، للتفخيم والتعظيم[1].

ثالثًا: هدايات الآية.

١. مجيء الإرشاد والتوجيه عن طريق النداء، تهيئة للمخاطبين؛ ليعوا ما يأتيهم من خطاب ربهم، وفيه أيضًا ما يدل على العناية والاهتمام.

٢. تصدير الآية بنداء الناس، إيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم [2].

٣. بيان عظيم نعمة الله على عباده بإيصال هذا القرآن العظيم إليهم وتيسيره عليهم؛ لقوله: ﴿ جَآءَتۡكُم ﴾ بدون مشقة وكلفة.

٤. التعبير بلفظ الربوبية في قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ دون غيره، تذكير للمخاطبين بهذه النعمة العظيمة، وتحبب وتلطف بالمدعوين، وأن هذا القرآن العظيم من أعظم وسائل تربيتهم.

٥. مجيء أوصاف القرآن في الآية نكرة ومنوّنة للتفخيم والتعظيم، يدل على أن القرآن أعظم موعظة، وأكثر شفاء، وأبلغ هداية، وأكثر رحمة، وفيه أيضًا بيان عظمة القرآن الكريم؛ لكثرة أوصافه في الآية وتنوعها.

٦. وصف القرآن بالموعظة، يدل على أنه الأصل في وعظ الناس، فلا ينبغي الاشتغال بغيره.

٧. جعل الله مجيء القرآن لجميع البشر، وخص الهداية والرحمة بالمؤمنين، دليلًا على سلوكهم طريق الهداية وطلبها، وأنهم المتعظون

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٥٥/٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٥٥/٤).

به والمستحقون لها، وفي هذا عدل من الله، وإكرام للمؤمنين، ورفع لشأنهم.

٨. للقلوب آفات وعلل تضعفه وتضر به، كما في الأبدان آفات وعلل تضعفه وتهلكه، وكما جعل للأبدان أدوية وعلاجات لشفائها ومداواتها، فكذا جُعل هذا القرآن شفاء لهذا الدين لكل ما يضر به من أمراض القلوب كالشك والشرك والهوى والنفاق، ولذلك سمّاه تعالى شفاء لما في الصدور.

٩. الحث على الانتفاع بالقرآن الكريم في الشفاء من الأمراض.

المبحث الثالث

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩]

أولًا: مناسبة الآية.

لما بيّن الله تعالى في الآيات السابقة: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل: ٦٦-٦٧] أن إخراج الألبان من النعم، وإخراج السَّكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب؛ دلائل وبراهين على القدرة الإلهية، نبّه في هذه الآية والتي قبلها على أن إخراج العسل من النحل دليل قاطع على إثبات هذا المقصود أيضًا(١).

ويتحدث ابن عاشور عن المناسبة من جهة أخرى؛ فيقول: "عطف عبرة على عبرة ومنة على منة، وغير أسلوب الاعتبار لما في هذه العبرة من تنبيه على عظيم حكمة الله تعالى، إذ أودع في خلقة الحشرة الضعيفة هذه الصنعة العظيمة وجعل فيها هذه المنفعة، كما أودع في الأنعام ألبانها وأودع في ثمرات النخيل والأعناب شرابا، وكان ما في بطون النحل وسطا بين ما في بطون الأنعام وما في قلب الثمار، فإن النحل يمتص ما في الثمرات والأنوار من المواد السكرية العسلية ثم يخرجه عسلا كما يخرج اللبن من خلاصة المرعى"(٢).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٣٦/٢٠).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠٤/١٤).

ثانيًا: تفسير الآية.

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ قوله: ﴿ ثُمَّ كُلِي ﴾ عطف على قوله: ﴿ ٱتَّخِذِى ﴾ [النحل: ٦٨][١]؛ أي: ثم ألهم الله النحل، كما دلّ عليه الإيحاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى ﴾ [النحل:٦٨]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص:٧]، والمعنى: ألهم الله النحل أن كلي من كل أنواع الثمرات[٢].

﴿ كُلِي ﴾بالتأنيث؛ لأن النحل يُذكّر ويُؤنّث، وهي مؤنثة في لغة الحجاز؛ ولذلك أنّثها الله تعالى[٣]،سمي امتصاصها للرحيق أكلًا؛ لأن النحل تقتاته، فليس هو بشُرب[٤].

﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (من) للتبعيض؛ أي كلي جزءًا أو شيئًا من كل الثمرات، وذلك أنها إنما تأكل النوّار من الأشجار[٥].

﴿ كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ولم يقل: (من الثمرات كلها)؛ لأنه تقدمها في النظم قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ [النحل: ٦٧]، فلو قيل بعدها: (كلي من الثمرات كلها) لذهب الذهن إلى أنه يريد الثمرات المذكورة قبل – أي ثمرات النخيل والأعناب–؛ لأن اللام إنما تنصرف إلى المعهود، فكان الابتداء بـ﴿ كُلِّ ﴾ أحصن للمعنى، وأرفع للبس، وأبدع في النظم[٦].

﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ لما أذن الله تعالى للنحل في اتخاذ البيوت

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٥٥٩/٦)، التسهيل، ابن جزي (٤٣١/١).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٨٧/١٤)، الوسيط في التفسير، الواحدي (٧١/٣)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣).
(٣) انظر: التفسير البسيط، الواحدي (١٢١/١٣)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٣٢/٣).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٧/١٤).
(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، التسهيل، ابن جزي (٤٣١/١).
(٦) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم (٢١٣/١).

من الجبال وغيرها، والأكل من كل الثمرات، وكان من المعلوم أن ذلك لا يكون إلا بمشقة في معاناة السير إليه؛ نبّه على تيسيره لها، فقال: ﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾؛ أي: فادخلي- أيتها النحل- طرق ربك مذللة لك؛ لتطلبي الرزق حيثما توجّهتِ(١).

﴿ فَٱسۡلُكِي ﴾ عطفه بالفاء على قوله: ﴿ كُلِي ﴾ لإفادة التعقيب، أي: فإذا أكلت فاسلكي سبل ربك(٢).

﴿ سُبُلَ ﴾ السبل: الطرق. وهي مسالكها في الطيران وغيرها(٣).

﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أضاف السبل إلى قوله: ﴿ رَبِّكِ ﴾ للإشارة إلى أن النحل مُسخّرة لسلوك تلك السبل لا يعدلها عنها شيء؛ لأنها لو لم تسلكها لاختل نظام إفراز العسل منها(٤).

﴿ ذُلُلٗاۚ ﴾؛ أي: مُسهّلة مستقيمة مذلّلة، وأصل (ذلل): يدل على اللين(٥).

﴿ ذُلُلٗاۚ ﴾ اتفق المفسرون على أنها حال، واختلفوا في صاحب الحال على وجهين:

أحدهما: ﴿ ذُلُلٗاۚ ﴾ حال من النحل؛ أي: مطيعة منقادة لما يُسِّرت له. قال به قتادة، وابن زيد، والنحاس، والقرطبي(٦).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٨٧/١٤)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣٥/١٠)، نظم الدرر، البقاعي (١٩٨/١١).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٥٦٠/٦).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٨/١٤).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٤٥/٢) مادة (ذلّ)، جامع البيان، الطبري (٢٨٧/١٤)، تفسير السمعاني (١٨٦/٣).

(٦) انظر: معاني القرآن، النحاس (٨٤/٤)، جامع البيان، الطبري (٢٨٧/١٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣٥/١٠).

الثاني: ﴿ ذُلُلًا ﴾ حال من قوله: ﴿ سُبُلَ ﴾؛ أي: مُسهّلة مستقيمة. وهو قول مجاهد، والطبري، وابن كثير(١).

وليس بين القولين من جهة المعنى تضاد؛ فتحمل الآية عليهما جميعا، ورغم أن الطبري اختار القول الثاني لكونه المذكور الأقرب؛ إلا أنه قال: " وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة، وجهان مخرجان"(٢).

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾؛ أي: يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان؛ ما بين أحمر وأصفر وأبيض وغير ذلك، على حسب اختلاف مراعيها ومآكلها وسنّها، وغير ذلك بما اقتضته حكمته سبحانه(٣).

وجملة ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ فيها التفات من الخطاب إلى الغيبة، ولو جاء الكلام على نسق الخطاب لقيل: (من بطونك)، وإنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدتين:

- أن الله سبحانه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة، وما فيه من فوائد لهم؛ ليلفت انتباههم إليه، ولو قال: (من بطونك) لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة.
- لأن العسل محل الإنعام عليهم، والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٨٨/١٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، زاد المسير، ابن الجوزي (٥٧٠/٢)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٣٣/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٨٢/٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٢٦/٥).

(٢) جامع البيان، الطبري (٢٨٩/١٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٨٩/١٤)، الوجيز في التفسير، الواحدي (ص٦١٢)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٨٢/٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٣٥/١٠)، التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٨٠٢/٢)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٣٣/٣)، الدر المصون، السمين الحلبي (٢٦٢/٧)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٢٦/٥).

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن ما تقدم من الخبر يثير في نفس السامع أن يسأل عن الغاية من إلهام النحل تلك الأعمال، فيكون مضمون جملة ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ بيانًا لما سأل عنه. وهو أيضًا موضع المنة والعبرة(١).

﴿شَرَابٞ﴾ عبّر عن العسل باسم الشراب دون العسل، لما يومئ إليه اسم الجنس من معنى الانتفاع به، وهو محل المنة، وليرتب عليه جملة ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾(٢).

﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾، ﴿فِيهِ﴾ الضمير يعود على الشراب؛ وهو العسل العسل. وبه قال جُل المفسرين(٣).

وروي عن مجاهد والسدي أن الضمير يعود إلى القرآن(٤)، وهو ضعيف لأمرين:

أحدهما: سياق الآيات في العسل، ولم يجرِ ذكر للقرآن في الآيات، قال ابن العربي: "من قال إنه القرآن بعيد ما أراه يصح عنهم، ولو صح نقلًا لم يصح عقلًا، فإن مساق الكلام كله للعسل، ليس للقرآن فيه ذكر"(٥).

الثاني: ما ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٨/١٤).
(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٥٦٠/٦)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠٩/١٤).
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٩١/١٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٥٦٢/٥)، الدر المصون، السمين الحلبي (٢٦٢/٧)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٨٢/٤).
(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٩١/١٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٨٢/٤).
(٥) أحكام القرآن (١٩٥/٥).

عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[١]، فقول النبي ﷺ (صدق الله) كالصريح في أن المراد العسل[٢].

﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ تنكير الشفاء في الآية يحتمل أمرين:

الأول: إما لتعظيم الشفاء الذي في العسل، فيكون المعنى: فيه شفاءٌ أيُّ شفاء.

الثاني: وإما لدلالته على مطلق الشفاء، أي أنه من جملة الأشفية والأدوية النافعة، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك؛ فنكّر قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ ولم يقل: (فيه الشفاء لكل الناس)؛ فاندفع الاعتراض بأنه ليس الكل ينتفع بالعسل ويُشفى به[٣].

وعليه؛ فقد اختلف المفسرون في قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ هل هو على عمومه أم لا؟ على قولين[٤]:

أحدهما: هو على العموم في كل حال ولكل أحد، واستدل هؤلاء بأدلة، منها:

أولًا: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ح (٥٦٨٤) (ص ٤٨٧)، ومسلم في كتاب الطب، باب التداوي بسقي العسل، ح (٥٧٧٠) (ص ١٠٧١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٩١/١٤)، معالم التنزيل، البغوي (٢٩/٥)، أحكام القرآن، ابن العربي (١٩٥/٥)، زاد المعاد، ابن القيم (٣٤/٤).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٦١٩/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٣٣/٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٥٦١/٦).

(٤) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي (١٩٥/٥)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣٦/١٠)، روح المعاني، الألوسي (٤٢٣/٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ح (٥٦٨١)، (ص ٤٨٦).

ثانيًا: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[1].

ثالثًا: كان ابن عمر ﷺ لا يشكو قرحة ولا شيئًا إلا جعل عليه عسلًا، حتى الدُّمّل إذا خرج عليه طلاه بعسل، فقيل له في ذلك، فقال: أليس الله يقول: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾؟[2].

القول الثاني: إن ذلك على الخصوص، ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان، بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض، وعلى حال دون حال، وعللوا قولهم بالآتي:

أولًا: أن كلمة ﴿ شِفَآءٌ ﴾ نكرة في سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل اللغة.

ثانيًا: أن كلمة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ من العام الذي أريد به الخاص، وهذا معهود في لغة العرب، ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ثالثًا: تنكير ﴿ شِفَآءٌ ﴾ إن أريد به التعظيم، لا يدل إلا على أن فيه شفاء عظيمًا لمرض، أو أمراض، لا لكل مرض، فإن تنكير التعظيم لا يفيد العموم[3].

ولعل هذا القول هو الأقرب، وما ساقه أصحاب القول الأول من أدلة فهي تدل على أن العسل شفاء، ولا نزاع في ذلك، غير أنها لا تنص صراحة

(١) حديث متفق عليه، سبق تخريجه (ص ٢٥).
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧٥/٩)، وعزاه إلى حميد بن زنجويه.
(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٦/٣)، زاد المسير، ابن الجوزي (٥٧٠/٢).

على أنه شفاء لكل مرض على العموم.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾؛ أي: إن في ذلك الإلهام للنحل باتخاذ البيوت وسلوك الفجاج وإخراج العسل وما فيه من شفاء؛ لدلالة وحجة واضحة لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومُسخِّرها، فيستدلون بذلك على كمال قدرته وعنايته ولطفه، وأنه لا يستحق العبادة أحد سواه(١).

﴿يَتَفَكَّرُونَ ﴾ جاء ختام الآية في جانب النحل بإعمال الفكر؛ لأن الاعتبار بتفصيل ما أجملته الآية في نظام النحل، يحتاج إلى إعمال فكر دقيق ونظر عميق، ففي النحل عجائب من صنع الله تعالى في خلقها وهيئتها وسلوكها وإنتاجها، وهي أشياء تقتضي فكرًا بعد فكر، ونظرًا بعد نظر(٢).

ثالثًا: هدايات الآية.

١. بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته، في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.

٢. كمال عناية الله تعالى ولطفه بعباده، وإنعامه عليهم وتفضله؛ إذ خلق النحل وألهمها وأقدرها وسخّرها، وأخرج منها العسل فيه شفاء للناس.

٣. ثبت من الآية أن العسل شفاء للناس من الأمراض، وأن هذا أصل في الطب، وفيه دليل على إباحة التداوي(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٩١/١٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي (٤٠٣٧/٦)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣٧/١٠)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣٤/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٨٤/٤-٥٨٥)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٤٤٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١٠/١٤).

(٣) انظر: النكت الدالة على البيان، القصاب (٢٣٩/٤)، الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي (ص١٣٦).

٤. لم يأت وصف الشفاء في القرآن إلا لشيئين؛ القرآن والعسل، فهما الشفاءان، إلا أن السياقات فيهما أوضحت فرقين:

أحدهما: أن الاستشفاء بالقرآن خاص بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وأما الاستشفاء بالعسل فهو للناس جميعًا لقوله تعالى في هذه الآية: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾.

الثاني: أخبر الله تعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء، وأما العسل فقال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾، وما كان نفسه شفاء، أبلغ وأعظم مما جعل فيه شفاء(١).

٥. في إلهام النحل – وهي المخلوقات الضعيفة – وتسخيرها بهذه الطريقة العجيبة، لدلالة لقوم يتفكرون على تمام قدرة الله وعظمته، وكرمه ورحمته، وبالغ حكمته، وسعة علمه.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/٢٥٠).

المبحث الرابع

قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ **[الإسراء: ٨٢]**

أولًا: مناسبة الآية.

لما انتظمت سورة الإسراء في شرح الإلهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث وإثبات القضاء والقدر، ثم أتبعت ذلك بالأمر بالصلاة والتنبيه على ما فيها من الأسرار، وإنما ذُكر كل ذلك في القرآن= أتبعه ببيان كون القرآن شفاء ورحمة(١).

وقد يقال في المناسبة أيضًا: أن الله سبحانه وتعالى لما قال في الآية السابقة: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الإسراء: ٨١]، بيّن سبحانه في هذه الآية ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أن القرآن مصدر الحق ومدحض الباطل(٢).

ثانيًا: تفسير الآية:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قرأ أبو عمرو البصري ويعقوب بسكون النون وتخفيف الزاي (نُنْزِل) ووجه القراءة أنه من (أَنْزَلَ، يُنْزِلُ). وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ ووجه القراءة على أنه من (نزّل، ينزّل) (٣).

واختير للإخبار عن التنزيل، الفعل المضارع ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ المشتق من

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي (٣٨٩/٢١)، نظم الدرر، البقاعي (٤٩٧/١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٨٩/١٥).

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص٨٥)، معاني القراءات، الأزهري (١٦٦/١)، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٣٠٨/٢).

فعل المضاعف، للدلالة على تكرار النزول وتكثيره ومداومته[١].

﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ اختلف المفسرون والنحاة في بيان نوع ﴿مِنَ﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها لبيان الجنس، أي بيان لما في قوله: ﴿مَا﴾ من الإبهام، والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء، فجميع القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين[٢]. وهذا اختيار جمهور المفسرين[٣]، وعلامة (من) التي لبيان الجنس، أن يخلفها اسم موصول، مع ضمير يعود على ما قبلها، إن كان ما قبلها معرفة [٤]، وعليه يكون المعنى: وننزل ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين[٥].

وقد رد أبو حيان كونها للجنس، وبيّن أن (من) التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تُبيّنه، وإنما تكون متأخرة عنه [٦]. وقد رُدّ على أبي حيان بجواز تقديم (من) التي لبيان الجنس على المبَيَّن، بدليل وقوعه في هذه الآية ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾[٧].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٨٩/١٥).
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (٣٨٩/٢١).
(٣) انظر: معاني القرآن، النحاس (١٨٧/٤)، الكشاف، الزمخشري (٦٨٩/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٤٢٧٥/٦)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٨٠/٣)، التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٨٣٠/٢)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٦٥/٣)، الدر المصون، السمين الحلبي (٤٠٢/٧)، مدارك التنزيل، النسفي (٢٧٤/٢)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٨٩/١٥).
(٤) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (٣١٣/٢).
(٥) معاني القرآن للنحاس (١٨٧/٤).
(٦) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٠٣/٧).
(٧) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٤٠٢/٧)، روح المعاني، الألوسي (١٣٨/٨).

الثاني: أنها لابتداء الغاية. وهو اختيار أبي حيان والقرطبي[١].

الثالث: أنها للتبعيض. وقد اختلف أصحاب هذا القول في معنى التبعيض هنا:

فمنهم من قال: من القرآن ما يشفي من المرض، كالفاتحة وآيات الشفاء[٢]، وقد رد الجمهور هذا القول؛ لأنه يلزم منه أن من القرآن ما هو شفاء، ومنه ما هو غير شفاء[٣].

ومنهم من قال إن التنزيل هو المقصود بالتبعيض: على معنى أن تنزيل القرآن مبعّض، فكأنه قال: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ شيئًا شيئًا ما فيه كله شفاءٌ[٤]، فهو على هذا المعنى كله شفاء.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ ﴾ قدّم المُبيّن وهو قوله: ﴿مِنَ ﴾ على المُبيَّن وهو قوله: ﴿مَا ﴾ لتحصيل غرض الاهتمام بذكر القرآن، مع غرض الثناء عليه بطريق الموصولية بقوله: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ للدلالة على تمكُّن الوصف منه، بحيث يعرف به. والمعنى: ننزل الشفاء والرحمة الذي هو القرآن[٥].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٨٠/٣)، البحر المحيط، أبو حيان (١٠٣/٧)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣١٥/١٠)، الدر المصون، السمين الحلبي (٤٠٢/٧).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٨٣٠/٢)، الكشاف، الزمخشري (٦٨٩/٢)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٦٥/٣).

(٣) انظر: معاني القرآن، النحاس (١٨٧/٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٤٢٧٥/٦)، التفسير البسيط، الواحدي (٤٥٣/١٣)، مفاتيح الغيب، الرازي (٣٨٩/٢١)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٨٩/١٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٨٠/٣)، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (١٠٣/٧)، الدر المصون، السمين الحلبي (٤٠٢/٧)، روح المعاني، الألوسي (١٣٨/٨).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٩١/٥)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٨٩/١٥).

﴿شِفَآءٌ﴾؛ إذ القرآن شفاء للقلوب: من الجهالات والشبهات المضلة، والشهوات المحرمة، وذلك باشتماله على العلم اليقيني، الذي تزول به كل جهالة وشبهة، واشتماله على الوعظ والتذكير، الذي تزول به كل شهوة تخالف أمر الله.

كما أن القرآن شفاء للأبدان من الآلام والأسقام، عن طريق الاستشفاء به، كما وردت به السنة المطهرة(١).

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن القرآن شفاء من أمراض القلوب، وكذلك شفاء من أمراض الأبدان بالرقى(٢)، واستدلوا على كونه شفاء للأبدان بعدة أحاديث(٣)؛ منها:

أولًا: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ(٤) بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ – قَالَ: لاَ، مَا

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣٢٢/٤)، تفسير السعدي (ص ٤٦٥).

(٢) وهذا لا ينافي التداوي الذي جاء في التوجيهات النبوية في عدة أحاديث؛ منها: حديث جابر ﷺ مرفوعا:" لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"، أخرجه مسلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح (٥٧٤١) (ص ١٠٦٩)، وحديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعا: " إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام"، أخرجه أبو داوود في كتاب الطب باب في الأدوية المكروهة، ح (٣٨٧٤) (ص ١٥٠٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٨٠/٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣١٦/١٠)، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (١٠٣/٧)، روح المعاني، الألوسي (١٣٩/٨).

(٤) أَبَنَ، يقال: أبنتُ الرجل وآبنْتُهُ إذا رميته بخلّة سوء، فهو مأبون، ومعنى نأبنه برقية؛ أي: ما كنا نعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١٧/١) مادة (أبن)].

رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ – أَوْ نَسْأَلَ – النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»(١).

ثانيًا: عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ»(٢).

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾؛ أي شفاء للمؤمنين خاصة، ورحمة أيضًا للمؤمنين خاصة، يهتدون به إلى الإيمان والعمل الصالح في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة(٣).

﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ بعد أن بيّن سبحانه أثر القرآن على المؤمنين، أتبعه ببيان أثره بالنسبة للظالمين، فقال: ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾؛ أي: ولا يزيد ما ننزله من قرآن الظالمين إلا خسارًا وهلاكًا، بسبب عنادهم وتكذيبهم وجحودهم للحق بعد إذ تبين، وهذا نظير قوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥]، وقوله: ﴿ قُلْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ح(٥٠٠٧) (ص٤٣٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، ح(٥٧٣٣) (ص١٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح(٤٤٣٩) (ص٣٦٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، ح (٥٧١٥) (ص١٠٦٧).

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٤٩٦/٦).

هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال قتادة:" ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به، وحفظه ووعاه، ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ به ﴿ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه،

وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين"[(١)].

﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إسناد الزيادة إلى القرآن، مع أن المزداد في ذلك هم الظالمون، للدلالة على سوء صنيعهم، وباعتباره سببًا لذلك، وفيه تعجيب من أمره، من حيث كونه سببًا للشفاء والشقاء بحسب متلقيه[(٢)].

ثالثًا: هدايات الآية.

١. أن القرآن منزّل من عند الله غير مخلوق؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾.
٢. القرآن كله شفاء، وهو يعم الشفاء القلبي والبدني، فيستشفى به من الأمراض القلبية كالشك والشرك والنفاق والهوى، كما يستشفى به من الأمراض الحسية كالأمراض البدنية والنفسية.
٣. أن الاستشفاء بالقرآن والأدعية التي يرقى بها، يشترط فيها قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، يقول ابن القيم: " هنا أمر ينبغي التفطّن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحلّ، وقوة همة الفاعل وتأثيره. فمتى تخلّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/١٧).
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٩١/٥).

المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإنّ عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة، أثّر في إزالة الداء"[(١)].

٤. وصفت الآية القرآن بأنه شفاء ورحمة، ودلت على أنه ليس لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين بما فيه من فرائض وشرائع، لأنهم المستحقون لذلك.

٥. وكما أن القرآن لا ينتفع به إلا المؤمنون المصدقون بآياته، فإنه لا يزيد الظالمين إلا خسارًا وشقاءً بسبب كفرهم به وجحدهم آياته.

٦. تقديم الشفاء على الرحمة في وصف القرآن، لأن الشفاء يكون للتخلية، والرحمة تكون للتحلية، والتخلية مقدمة على التحلية كما هو مقرر، والرحمة تعظم حين تُشفى الأنفس والعقول مما يضر بها ويُعِلُّها.

٧. التعجيب من أمر القرآن؛ حيث يكون سببًا للشفاء والشقاء في آن واحد، ومدار ذلك بحسب متلقيه، فمن آمن به كان له شفاء، ومن كفر به كان له شقاء.

(١) الداء والدواء (ص ٨).

المبحث الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠]

أولًا: مناسبة الآية.

بعد أن بيّن إبراهيم عليه السلام لقومه أن الله هو المستحق للعبادة، وأنه المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾[الشعراء: ٧٨]، ثم خصص منها بعض الضروريات، فكان مما خص منها نعمة الشفاء من المرض(١).

ثانيًا: تفسير الآية.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ عطفٌ على ﴿ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩] نُظم معهما في سلك الصلة لموصول واحدٍ؛ لأن الصحّة والمرض ناتجة عن الأكل والشرب غالبًا(٢)، فالمرء قد يتسبب في مرضه بسبب إسرافه وعدم اعتداله في أكله وشربه، ولهذا قال الرسول ﷺ: "مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ"(٣).

وقوله: ﴿ مَرِضْتُ ﴾ المرض: فساد يعرض لحال الإنسان، فيخرجه عن الاعتدال والصحة، ويكون حسيًا كقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، كما يكون نفسيًا أو معنويًا، كقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا ﴾[البقرة: ١٠](٤).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٩٣).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢٤٩/٦).

(٣) انظر: أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ح (٢٣٨٠) (ص ١٨٩٠)، وابن ماجه في الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، ح (٣٣٤٩) (ص ٢٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٠/٥).

(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي (ص٥٤٥)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي (٨٤/٤)، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي (٤٩٢/٤).

وقد أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه، فقال: ﴿ مَرِضْتُ ﴾ دون "أمرضني" مع أن المرض بقدر الله وقضائه، وذلك من باب حُسن الأدب في العبارة عن الله، كقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] فأسند الإنعام إلى الله سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله، وأسند الضلال إلى العبيد، أدبًا مع الله، وكقوله: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠][(١)]، وكقوله ﷺ: "والخير كله بيديك، والشر ليس إليك"[(٢)].

وقيل: لأن المقصود تعديد النعم، ولا يتناسب إسناد المرض إلى الله في مقام النعم، ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه، فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه، وإنما لضرر في مقدماته وهي المرض[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ جاء العطف بالفاء، لأن الشفاء يعقب المرض، بلا زمان خالٍ من أحدهما[(٤)].

قوله: ﴿ يَشْفِينِ ﴾؛ أي: إذا وقعت في مرض، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، فهو الذي ينعم علي بالشفاء، بما يُقدّر من الأسباب الموصلة إليه[(٥)].

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٣٥/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٤٦/٦).

(٢) انظر: أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل،ح(١٨١٢) (ص٨٠٠).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (١٤١/٤).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيى الدين درويش (٩٠/٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٤٧/٦).

ثالثًا: هدايات الآية.

١. بيان أنه لا يستحق العبادة إلا رب العالمين وحده، المختص بصفات الربوبية، فهو وحده المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية، والرزق والشفاء والإماتة والإحياء، وكل من سواه لا يخلق، ولا يهدي، ولا يُطعم ولا يُسقي، ولا يُمرض ولا يُشفي، ولا يمُيت ولا يُحيي، فكيف يعبد غيره وهو المستحق للعبادة وحده.

٢. ثناء إبراهيم عليه السلام على ربه بصفات الربوبية التامة، وإثباتها له، وامتداحه بها، والاستدلال بها على الألوهية، وتسفيه من صرف العبادة لغيره، في حين أن الله عز وجل هو المتفرد بهذه الصفات.

٣. أدب إبراهيم عليه السلام مع ربه، في إسناده المرض إلى نفسه، مع أن ذلك كله بقضاء الله وقدره.

المبحث السادس

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٤].

أولًا: مناسبة الآية.

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة الملحدين المنكرين آياته، وقدرته عليهم وأنهم لا يخفون عليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ [فصلت:٤٠]، ثم ذكر الكافرين بالقرآن المكذبين له تعنتا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٣]، ثم جاءت هذه الآية الكريمة ردًا يخرس ألسنتهم حيال بعض الشبهات التي أثاروها حول القرآن الكريم(١).

وقد يقال في المناسبة أيضًا: لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ نبّه في هذه الآية على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت(٢).

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣١٢/٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٤/٧) بتصرف يسير.

ثانيًا: تفسير الآية:

جاء في سبب النزول، عن سعيد بن جبير قال: "قالت قريش: لولا أُنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا؟ فأنزل الله: ﴿ لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾، وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان، ﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٤] قال: فارسية أُعربت: سنكَك وكَل"[١].

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا ﴾؛ أي: ولو صيّرنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميًا؛ أي بلغة العجم، لا يفصح ولا تبين معانيه لهم؛ لكونه بلغة غير العرب[٢].

﴿ جَعَلۡنَٰهُ ﴾ الضمير في الهاء يعود على الذكر السابق في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾[فصلت: ٤١][٣].

﴿ قُرۡءَانًا ﴾ مفعول ثانٍ للفعل (جعلنا)[٤].

﴿ أَعۡجَمِيّٗا ﴾ العجم: غير العرب، والواحد منه: (عجمي)، أصله اللغوي يدل على السكوت والصمت، ولذلك كل من لا يقدر على الكلام أصلًا فهو (أعجم)، و(الأعجم) أيضًا الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب، والمرأة (عجماء)، و(الأعجم) أيضًا الذي في لسانه عجمة، وإن أفصح بالعجمية[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٨٣/٢١)، وانظر: لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص٢٠٦).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨١/٢١)، البحر المحيط، أبو حيان (٣١٢/٩).

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي (٢٣٩/٣).

(٤) انظر: إعراب القرآن، النحاس (٤٥/٤).

(٥) انظر مادة (عجم) في: تهذيب اللغة، الأزهري (٢٤٩/١)، الصحاح، الجوهري (١٩٨٠/٥)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٢٣٩/٤-٢٤٠).

والفرق بين الأعجميّ والعجميّ: أن الأعجميّ الذي لا يتكلم بالعربية وإن كان عربي الأصل، والعجميّ: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحًا(١).

والياء في قوله: ﴿أَعۡجَمِيّٗا﴾ للمبالغة في الوصف، وليس النسب فيه حقيقيًا(٢).

﴿لَّقَالُواْ﴾ اللام واقعة في جواب الشرط لقوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ﴾.

﴿لَوۡلَا﴾ حرف تحضيض، بمعنى هلّا(٣).

﴿لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ أي: لم يتركوا الاعتراض، ولقال الكفار منهم: لولا بُيِّنت آياته ووضحت حتى نفهمها، أيكون القرآن أعجميًّا، والذي جاء به عربي؟(٤).

﴿ءَأَعۡجَمِيّٞۗ﴾ فيها قراءتان متواترتان(٥):

الأولى: على الاستفهام. وهي قراءة الجمهور(٦).

والاستفهام إنكاري(٧)، والمعنى على الاستفهام: أقرآن أعجمي ورسول

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٦٥٣٧/١٠).

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي (٥٣٠/٩).

(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي (٣٨٠/١٢).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٦/٨)، البحر المحيط، أبو حيان (٣١٢/٩)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٥١).

(٥) هذا على الإجمال. وأما تفصيلًا: قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر: بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما، وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحفص ورويس: بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية من غير إدخال، ولورش وجهان: أحدهما كابن كثير، والآخر إبدالها حرف مد مع الإشباع للساكنين. وهشام يقرأ بإسقاط الهمزة الأولى وتحقيق الثانية. وقرأ روح وشعبة والأخوان وخلف: بتحقيق الأولى والثانية من غير إدخال، انظر: معاني القراءات، الأزهري (٣٥٢/٢)، المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، الشهرزوري (١١٠/٤)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح القاضي (ص٢٨٤).

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٣/٢١)، معاني القراءات، الأزهري (٣٥٢/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٠/٥).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦٩/١٥)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٧٣/٥)،

عربي؟ ورد هذا المعنى عن سعيد بن جبير، ومجاهد[١]، وقيل: معناه: أبعضه أعجمي وبعضه عربي؟[٢].

قال السدي: "لولا بُينت آياته، أأعجميّ وعربيّ، نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة؟"[٣].

الثانية: (أعجمي) بهمزة واحدة، على غير الاستفهام[٤]؛ والمعنى على ذلك: أن هذا خبر من الله تعالى عن قول المشركين ذلك، يعني: هلا بُيّنت آياته، فجعل بعضه بيانا للعرب بلغتهم، وبعضه بيانًا للعجم بلغتهم، وقد ورد هذا المعنى عن الحسن البصري، وسعيد بن جبير[٥].

وسواء أكان استفهامًا أم خبرًا عن قول المشركين؛ فإن هذا لم يكن، فالقرآن عربي والمنزَّل عليه عربي. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[إبراهيم: ٤].

﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾؛ أي: قل يا محمد في جوابهم: ﴿هُوَ ﴾؛ أي هذا القرآن، ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خاصة، ﴿هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾ يهديهم إلى الرشد والحق وإلى صراط مستقيم، ويدلهم على العلوم النافعة التي تحصل بها الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ كالشكوك والريب والنفاق ومساوئ الأخلاق[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٢/٢١).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣١٢/٩)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (٥٣٠/٩).

(٣) انظر: أخرجه الطبري في تفسيره (٤٨٢/٢١).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٣/٢١)، معاني القراءات، الأزهري (٣٥٢/٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٠/٥).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٣/٢١)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص٣١٧)، حجة القراءات، ابن زنجلة (ص ٦٣٧)، البحر المحيط، أبو حيان (٣١٢/٩).

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٤/٢١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٤/٧)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٥١).

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ أي: والذين لا يؤمنون بالقرآن ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ ﴾ وقر: أصل يدل على ثقل في الشيء، ومنه الوقر: الثقل في الأذن(١)، والوقر مستعار لعدم فهم المسموعات، جُعل عدم الفهم بمنزلة الصمم، والمعنى: في آذانهم صمم وثقل، فلا يسمعونه سماع فهم وانتفاع.

﴿ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾؛ أي: لا يبصرون به رشدًا، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالًا(٢).

وجاء في حق الكافرين بلفظ: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ في قوله: ﴿ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ الدالة على استيلاء العمى عليهم، وجاء في حق المؤمنين باللام في قوله: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الدالة على الاختصاص(٣).

والإخبار بالوقر والعمى تشبيه بليغ، ووجه الشبه: هو عدم الانتفاع به مع سماع ألفاظه(٤).

﴿ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ علق العمى بكونه على ذواتهم، لأنه لما كان عمى مجازيًا تعين أن مصيبته على أنفسهم كلها، لا على أبصارهم خاصة؛ فإن عمى البصائر أشد ضررًا وأعظم أثرًا من عمى الأبصار، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦](٥).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾؛ أي: يُنادَون إلى الإيمان، ويُدعَون

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (١٣٢/٦) مادة (وقر).
(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٦٥٣٩/١٠)، تفسير القرآن، السمعاني (٥٧/٥)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٠/٥).
(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣١٣/٩).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣١٦/٢٤).
(٥) المصدر السابق (٣١٦/٢٤).

إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادى وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا ولا يجيب مناديًا، كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يستفيدون منه خيرًا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم وعنادهم(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ الثانِي ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ باعتبارِ اتصافِه بما في حيز صلته، وملاحظة ما أُثبتَ له، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه، للإشعار ببعد منزلِته في الشرِّ، وفيه كمال المناسبةِ للنداءِ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي أولئك البُعداء الموصوفونَ بما ذُكر من التصامِّ عن الحق الذي يسمعُونَه، والتعامِي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾(٢).

وقد اختلف المفسرون هل هذا النداء حقيقي أم مجازي؟

فقال جمهور المفسرين: إن النداء مجازي، والمقصود به: هذا تشبيه لبعد قلوبهم عن قبول الحق والموعظة.

كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من بعيد، وكقولهم للفَهِم: إنك لتأخذ الأمور من قريب، وهذا من بلاغة القرآن أن يُصوّر الشيء المعقول بصورة المحسوس حتى يكون أقرب لفهم المتلقي(٣).

وذهب الضحاك إلى أن النداء حقيقي، وأنه يكون يوم القيامة، حيث

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٥/٢١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٤/٧)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٥١).

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١٧/٨).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٤/٢١-٤٨٥)، الكشاف، الزمخشري (١٦٦/٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٦٥٤٠/١٠)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦٩/١٥)، البحر المحيط، أبو حيان (٣١٤/٩)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣١٦/٢٤).

يُنادَون بأشنع أسمائهم؛ ليُفضحوا على رؤوس الخلائق، فيكون أعظم في توبيخهم(١).

ثالثًا: هدايات الآية.

١. امتنان الله على عباده بإنزال القرآن الكريم بأفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وهي لغة العرب، وكونه في أعلى درجات البلاغة والفصاحة والإعجاز، بألفاظه ومعانيه، وأخباره وأحكامه.

٢. بيان أن كفر المشركين بالقرآن، كفر تعنت وعناد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾.

٣. القرآن هدى للذين آمنوا به وصدقوا آياته خاصة، وهو هدى لهم من الجهل والضلالة، وشفاء لهم من أمراض القلوب والأبدان.

٤. الكفار لا ينتفعون بالقرآن، ولا يهتدون بهداه؛ لأن الكفر والإعراض والتكذيب للقرآن مانع قوي من الانتفاع به؛ لأنه يطفئ نور القلب ويرين عليه ويحجبه، ويجعله في قفل وغطاء ويختم عليه، ويحول بينه وبين فهمه وتدبره، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦].

٥. تحقير شأن عدم المنتفعين بالقرآن، وأنهم أشبه بالذي يُنادى من بعيد، لا يسمعون داعيًا، ولا يجيبون مناديًا، ولا يفهمون.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٤٨٥/٢١)، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (٦٥٤٠/١٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبعد هذه الجولة الماتعة في موضوع البحث؛ يحسن تدوين النتائج الآتية:

١- الشفاء يستعمل في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: الفرح، والعافية، والبيان.

٢- آيات الشفاء في القرآن الكريم ست آيات، اثنتان منها جاء فيها لفظ الشفاء بالفعل المضارع للدلالة على الديمومة والثبات، وأربع بصيغة المصدر.

٣- وصف القرآن بأنه شفاء ورد في ثلاث سور مكية؛ هي: يونس، والإسراء، وفصلت.

٤- وصف القرآن بأنه شفاء، ولم يصفه بأنه دواء، لأن الدواء وسيلة قد تحصل معها النتيجة وقد لا تحصل، وأما الشفاء فهو النتيجة والثمرة المقصودة من المداواة.

٥- اتفقت كلمة المفسرين على أن القرآن كله شفاء، وهو يعم الشفاء القلبي والبدني، فيستشفى به من الأمراض القلبية كالشك والشرك والنفاق والهوى، كما يستشفى به من الأمراض الحسية كالأمراض البدنية والنفسية.

٦- أن الاستشفاء بالقرآن والأدعية التي يرقى بها، يشترط فيها قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره.

٧- الشفاء المقصود به شفاء الأبدان ورد في القرآن صريحًا في موضعين: النحل والشعراء.

٨- لم يأت وصف الشفاء في القرآن إلا لشيئين؛ القرآن والعسل، فهما الشفاءان، إلا أن السياقات فيهما أوضحت فرقين:

أحدهما: أن الاستشفاء بالقرآن خاص بالمؤمنين، وأما الاستشفاء بالعسل فهو للناس جميعًا.

الثاني: أخبر الله تعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء، وأما العسل فأخبر بأن فيه شفاء، وما كان نفسه شفاء، أبلغ وأعظم مما جعل فيه شفاء.

٩- أن الإعراض والتكذيب للقرآن مانع قوي من الانتفاع به، لأنه يطفئ نور القلب ويرين عليه ويحجبه، ويجعله في قفل وغطاء ويختم عليه، ويحول بينه وبين فهمه وتدبره.

وأما التوصيات التي أرغب بتسجيلها في خاتمة البحث؛ فهي:

١- العناية بجانب التفسير التحليلي للآيات المجموعة موضوعيًا؛ إذ بُذلت جهود عظيمة مشكورة في التفسير الموضوعي، إلا أن الغالب في هذه الدراسات الموضوعية أنها تهمل – عن غير قصد – الجانب التحليلي للآيات، مع ما يحويه من قضايا تحليلية في غاية الأهمية، ولها أثر في تعزيز الجانب الموضوعي للآيات مجال البحث.

٢- التربية بالقرآن بإبراز ما فيه من مواعظ؛ إذ وصف القرآن أولا بأنه موعظة، مما يستدعي عناية المؤلفين والمعلمين للقرآن بإبراز هذا الجانب منه.

٣- العناية بالاستشفاء بالقرآن الكريم وتأصيله وتأطيره وضبطه، إذ الممارسات في الآونة الأخيرة تحتم تقعيده وتأصيله، بحيث توضع له الضوابط التي تحكمه في ضوء الشريعة الإسلامية، وتصحح الكثير من الممارسات والمفاهيم الخاطئة حياله.

هذا والله أعلم، وقوله أحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار ابن كثير – بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
- الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح ابن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطبع – تونس، ط١، ١٩٨٤م.

- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب)، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٩هـ.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علي بن محمد الخازن، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن – الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، دار إحياء التراث – بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد ابن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
- سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)،

بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.

- سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن القاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.
- محاسن التأويل، جمال الدين بن محمد القاسمي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في علوم الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ النسفي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، تحقيق: د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤١٧هـ.
- معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
- معجم مصطلحات علوم القرآن، د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، دار التدمرية – الرياض، ط١، ١٤٣٣ هـ.
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ طبع.

- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد بن علي الكرجي القصاب، دار ابن عفان – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز ومعانيها، الحسين بن محمد الدمغاني، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي – دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.